شذرات ثقافية

رئيس التحرير وائل مجدى



الفهرس

من شعب الايمان (6)



➢ مقال
➢ أ. د. محمد صالحين

أن نفرح بالحسنة، ونحزن على المعصية!

إن المؤمنَ الذي دخل الإيمانُ قلبَه: فانشرح، وانفسح: ليفرحُ بالحسنة يفعلُها بتوفيق الله، ويحزنُ بالسيئة يقترفُها بهوى نفسه، وتدسيسها!

وفي الأثر: {من سرَّتْه حسنتُه، وساءته سيئتُه: فهو مؤمنٌ}، وفي الدعاء المأثور: {اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا: استبشروا، وإذا أساءوا: استغفروا}

وإن المؤمن حق المؤمن: من إذا عَمِلَ حسنةً: رجا ثوابَها، وإذا عَمِلَ سيئةً: خاف عقابَها، على عكس المنافق؛ كما قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود: إن المؤمن يرَى ذنوبَه كأنه في أصل جبل، يَخَافُ أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبَه كذُبابٍ وقع على أنفه، فقال له هكذا، فطار!}

وما أجمل ما أجاب به النبيُّ صلى الله عليه وسلم سائلَه: إن أحدنا يعمل العمل-أي: فيُخفيه على الناس، ولا يُظهره لأحد-فإذا اطُّلِعَ عليه: سَرَّهُ-أي: فرح بذلك وابتهج خاطرُه، فخاف أن يكون من الرياء والسمعة، فأسرع إلى النبي صلى الله عليه يسأله، وهو خائفٌ وَجِلٌ-لكنَّ النبيَّ طمْأنه قائلًا: {ذلك عاجلُ بشرى المؤمن} أي في الدنيا؛ لأن الله تعالى أظهر محاسنَه للناس، وستر مساوئه، وهذه بشرى دنيوية مُعجلةٌ؛ دالةٌ على بشرى أُخروية أعظم منها، وأبقى.

وفي التضرع النبوي الثابت: {... يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ ...} وهذا امتنانٌ ينبغي أن نفطن إليه، ونفرح به؛ لأنه الله تعالى أظهر للناس منا الجانب المشرق، وستر عنهم الجانب المظلم منا؛ فله سبحانه الحمد والمنة، وبه تعالى التوفيق والعصمة.



❖ التأويل والتجديد

➢ بقلم اد. عادل القليعي
➢ أستاذ الفلسفة الإسلامية / آداب حلوان.

موضوع من الموضوعات المهمة والحساسة ، والكتابة عنه شائكة ، خصوصا عندما يضاف إلى العنوان كلمة التجديد ، فكيف نوظف تأويلاتنا العقلية لخدمة قضايانا المعاصرة المطروحة على الساحة الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .كيف سنوظف التأويل لبحث هذه المشكلات التي أضحى معالجتها أو تقديم حلول لها أمر جد مهم .كيف سنوظف الهرمونيطيقا لحسم الصراع الدائر حول جدليات واشكالات يظن البعض أنه ليس ثم حلول لها .كتجديد الخطاب الديني ، الانحرافات العقدية ، الإنحرافات والخروقات الأخلاقية.

نعم الخوض في مثل هذه الموضوعات يحتاج جهد جهيد وعمل شاق وبحث مستفيض.

السيدات والسادة أيدكم الله بروح منه وهداية ورشاد هيا معي لنرى ماذا خط بناني في هذا الموضوع ، وهل نجح الكتاب في عرضه وطرحه.؟!

التأويل لغة واصطلاحا،بداية رب سائل يطرح علي سؤالا فحواه لماذا أقدمت وخضت هذا المضار الشائك الذي طريقه صعب قد يقحم صاحبه في مشاريع لا طاقة له بها؟! إجابتي علي هذا السؤال تتلخص في مايلي،محاولة من جانبي لإزالة اللبس الحادث عند البعض في التفرقة بين التأويل والتفسير،كذلك محاولة لوضع النقاط علي الحروف في مسألة التأويل والتجديد،وتوظيف التأويل توظيفا صحيحا دون لي عنق النص من أجل إرضاء شخوص بعينها أو مؤسسات بعينها بغية التجديد،التجديد الحقيقي الذي لاتشوبه شائبة والذي لاتخالطه شبهة هو القائم علي ضوابط وقواعد معينة أهمها عدم العبث بالثوابت بل توظيف الثابت لخدمة المتغير دونما إفراط أو تفريط.

أيضا محاولة من جانبي لاعمال العقل الذي هو هبة ربانية منحها الله ايانا لمعالجة قضايانا المعيشة المعاصرة والتي تحتاج منا إلي وقفات ووقفات ومعالجات عن طريق إثراء لغة الحوار العقل فكري،بغية الوصول إلي إيجاد حلول ناجعة للقضايا التي يظن البعض أنها مستغلقة ولاتخضع للحلول،ولماذا لاتخضع للحلول والدين دعى للاجتهاد واعمال العقل ألم يدعوا النبي لعبدالله بن عباس قائلا اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.

ألم يبعث النبي معاذا قاضيا علي اليمن قائلا له بماذا تحكم يا معاذ قال بكتاب الله،قال وان لم تجد قال بسنة رسول الله،قال وان لم تجد قال اجتهد رأيي فالاجتهادطريق مشروع واعمال العقل مشروع وتعطيله جريمة يعاقب عليها القانون السماوي قبل القانون الوضعي.

فإذا أتي شخص برأي قد يظن البعض أنه رأي شاذ ومخالف للمعتقدوهذا الرأي يقبل النقد والنقاش فبدلا من أن نناقش صاحبه ونثبت خطأه،او هو يثبت لنا صحة وجهة نظره،لا نناقشه،نكيل له الاتهامات،وانه كافر زنديق مارق عن الدين كما يمرق السهم عن الرمية وقد ينكل به وقد ينفي أو يلقي في غيابات الجب وغياهب السجون،او يشرد ويشرد آل بيته لماذا لأنه خالفنا فكريا هل حاورناه هل دخلنا معه في نقاش فكري،لا نقد من أجل النقد،يا سادة نحن في القرن الحادي والعشرين ودفاعنا لا يكون بالتنكيل فقد فارقنا العصور الوسطى منذ قرون.

سيداتي وسادتي إذا اردنا نهضة وصحوة فكرية حقيقية علينا باعلاء قيمة الحوار وقبول الرأي الآخر فلماذا هذا التعنت والصلف مع أهل الفكر لماذا رميهم بالكفر والزندقة.

هذه هي دوافعي لخوض هذا المضمار الشائك الوعرة دروبه ومسالكه.يا سادة إذا أسقطنا التأويل من حساباتنا العقلية،فانه من الممكن أن يصاب الفكر بالعطب والركود والجمود،ولن نستطيع أن ننطلق الي الأمام قيد أنملة.

التأويل،لغة واصطلاحا

التأويل في اللغة:ذهب ابن منظور في لسان العرب إلي القول إن التأويل(أول الكلام وتأويله:دبره وقدره.وأوله وتأوله:فسره.وهنا لم يفرق بين التأويل والتفسير.كذلك يقول:المراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي الي مايحتاج الي دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ.ابن منظور ،لسان العرب ،بيروت،1999ج1ص264,265.

وهذا يقودنا الي طرح سؤالا،هل هناك فرق بين التأويل والتفسير.يقول التهانوي في كشافه،التأويل هو مشتق من الأول وهو لغة:الرجوع،وعند الأصوليين هو مرادف للتأويل،وقيل هوالظن بالمرادوالتفسير القطع به،وقيل هو أخص من التفسير.التهانوي ،الكشاف،1996ج1،ص276,277

فالتفسيرعلم كسبي له موضوعه ومنهاجه،ونتائجه،اما التأويل فهو علم إلهي بكل ما تشمله هذه الكلمة من معان.

يفرق المفكر المصري حسن حنفي بين التفسير والتأويل قائلا:التفسيرهو مجرد إخراج النص من حيز العبارة إلي حيزاللغة والاعراب،في حين أن التأويل هو ادخال النص الي الداخل الي أعماق النفس.ما يمكن أن نطلق عليه تقمص وتعمق النص واحتوائه بغية تحقيق مأربي من التأويل.حسن حنفي مقال إشكالية التأويل ضمن مجلة الفلسفة والعصر المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2005عدد3ص2.

أما قولنا في هذه التفرقة فثم فرق بين التفسير والتأويل فالتفسير جهد وسعي إنساني مشكور من خلال النظر الي الآية القرآنية إذا كنا نفسر قرآنا أو نقول خواطرنا عنها،او كنا نقوم بتحليل نص فلسفي أو أيا كانت طبيعة هذا النص فالمفسر لابد أن يكون علي دراية واسعة بما يقدم عليه وما يبحثه بل ويكون علي اطلاع علي التفاسير أو التحليلات المختلفة للنصوص المراد تفسيرها فيقراها من أكثر من مصدر حتي لا يحيد ولا يميد عن هدفه وبغيته.

اما التأويل فهو اجتهاد بشري أيضا لكن مدعوم بهبات ربانية صفائية لدنية وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم من هم من اصطفاهم الله لتلقي فيوضات العلم الغيبي.

الإنسان بطبيعته يحمل ذاتا تواقة الي المعرفة يسعي دائما الي التعلم والإدراك إدراك كنه واقعه الذي يعيشه،بل ويتخطي ذلك الي محاولة إدراك المجردات العالم الميتافيزيقي،لكن ثم صعوبات ستواجهه وقد يتحير في حل معضلاته ومن هنا يلجأ إلي التأويل حتي يحاول أن يحقق المعادلة وهي التوفيق بين ذاته الدراكة والموضوع محل الإدراك،بين الداخل (الأنا)والخارج محل الإدراك الصور الكونية التي قد تكون في بعض الأحيان عصية الفهم،ومن هنا يجد الإنسان نفسه بين أمرين هل يستمر في بحثه ام يتوقف ومن هنا يلجأ إلي التأويل العقلي لمحاولة الوصول الي ضالّته المنشودة،وهذا ما فعله كثير من المفكرين المعاصرين وحدث لهم ماحدث من اضطهاد وتنكيل وتكفير وخلافه.

التأول اصطلاحا:تعددت تعريفات التأويل فالغزالي قدم تعريفات للتأويل في كتابه قانون التأويل والقاسمي وابن كثيرو الجرجاني وابن حزم الأندلسي،الا انني سأكتفي بتعريف ابن رشد في كتابه فصل المقال في مابين الحكمة والشريعة من اتصال يقول: التأويل هو إخراج اللفظ من الدلالة الحقيقية إلي الدلالة المجازي من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيئ بشبيهه،أو سببه أو لاحقه،أو غير ذلك من الأشياء،التي عودت في تعريف أصناف الكلام المجازي.ابن رشد ،فصل المقال،دار التربية بيروت1987ص18.

أما نصر حامد أبو زيد فيقدم تعريفا للتأويل له اعتباره،يقول:(التأويل هوالمصطلح الأمثل للتعبير عن عمليات ذهنية علي درجة عالية من العمق في مواجهة النصوص والظواهر)نصر ابو ازيد,اشكاليات القراءة وآليات التأويل،القاهرة1991,ص189

إذن التأويل جهد إنساني إبداعي يعتمد اعتمادا معتبرا علي العقل واجتهاداته ،ويعتمد أيضاً علي آراء المدارس العقلية المختلفةفي فهم النصوص فهما دقيقا بغية الوصول الي غاية المرام من دراستها دراسة تأويلية

شكرا جزيلا ،،، تحاياتي وللحديث بقية .

❖ نحو مقاربة شمولية للسيرة النبوية



- أ.د. ناصر أحمد سنه
- كاتب وأكاديمي مصري.

نحن في أمس الحاجة لتستعيد البشرية إنسانيتها العالية، وتتعايش ـ بتسامح اجتماعي ـ فيما بينها، وتهتدي بخلاصة هداة البشر، وتطالع أتمّ الشمائل والفضائل، وتستضيء بأنموذج أخلاقي رسالي، وتبحر ـ بعزم ـ في "مُعجمها النفساني الإيماني"، وترتوي من منابع الحق والعدل والخير والجمال، وتقف علي التحول الذي "حير العقول، والمنهج الشامل الذي احتضن كل شؤون الحياة". ولعل "مشروعاً" ـ يري النور قريباً ـ يُلبي تلك المطالب. ويقارب ـ بشمولية علمية، وخبرة منهجية، ودراية عصرية، ورؤية مستقبلية ـ وقائع السيرة النبوية في كل أوقاتها، ومن كل جوانبها المتعددة. كي يتسنى للمهتم ـ المسلم وغير المسلم ـ الإحاطة بمجريات سيرته العطرة، برؤية شمولية متكاملة لا تغفل جانباً، ولا تنحاز لقراءة، ولا تخضع لهوي خاص. فلقد كرس باحثون "رؤيتهم التجزيئية" في تعاملهم مع «مصادرهم للسيرة». فلم يتم كسر الفواصل بين أنماطها، أو استدعاء كلها لتتم الإحاطة الشاملة بها.

فينبغي الاعتماد علي القرآن الكريم وتفاسيره، والحديث النبوي الشريف، وكتب الأدب ودواوين الشعر، وكتب الفقه، وكتب الجغرافيا والرحلات، وكتب التاريخ في أنماطها كافة الخ. فبدراسة السيرة من القرآن يتحول الحدث من قصة (في زمان ومكان معينين) إلى درس متكامل يتعدى ظروفها. وتلك المعايشة للسيرة عبر القرآن وصحيح السنة تحيلها من مجرد أحداث ووقائع، إلي حس يتنامى معه المشاعر الإيمانية، والوعي بالسنن الحضارية الربانية. كما إن هذا المشروع المأمول ـ وهو يتكئ علي الوعي بالذات الحضارية ـ سيرشد "الانفتاح غير المنضبط" على مقاربات مستشرقين (غير منصفين)، ومن سار على دربهم من بني جلدتنا، وضبط قراءة السيرة بأنظمة معرفية منبتة الصلة عنا وعن خصوصيتنا المنهجية.

خريطة شاملة" لحُسن الاقتداء والاهتداء

التزم باحثون في السيرة بالخط الزمني لوقائعها، فتحدثوا عن وقائع كل عام (حوليات) مجتزَأة عن وحدتها الموضوعية. مما شكل تقطيعاً للوقائع الأساسية، واختراقاً لنسيجها بأخرى تحركت في سياق مغاير. كالحديث في السنة الواحدة عن الصراع ضد المشركين، والمنافقين، والبيزنطيين، جنباً إلى جنب مع المعطيات التشريعية أو الدعوية أو التعبدية الخ. لكن "الخريطة الشاملة" ستكشف عن حياته، صلى الله عليه وسلم، دقيقة بدقيقة، منذ يقظته فجراً وحتي نومه مساءً. ومن ثم تكتمل الرؤية عنه: راعياً وتاجراً، زوجاً وأباً، مربياً ومعلماً، خطيباً ومفوهاً، صديقاً وصاحباً، عابداً ومتبتلاً، داعياً ورسولاً، إنساناً وقائداً الخ. إن التتبع المنهجي للحظات يومه سيخاطب الكينونة البشرية بكل جوانبها، وأشواقها، وحاجاتها، واتجاهاتها. وسترتبط كل الشواهد النبوية ـ دون إهمال لأي شاهد ـ نسق العلاقات بين الجزء والكل. ولتكتمل صورة "الآية الكونية الكبرى"، "النور الخالد"، "البرهان الناطق"، "مفخرة الإنسانية"، "الكمال البشري"، "الإنسان الرسول"، "المعنى التام للإيمان"، "خاتم ديوان النبوة."

إن جوانب السيرة ليست موضع اجترار وتكرار وتسلية بجوانب "العبقرية" والعظمة، بل الهدف الرئيس لها هو الاقتداء والتأسي؛ وهداية للناس، وترجمة عملية للإسلام وتجسيد له. لذا يجب تنزيلها ـ بفهم عميق ـ علي أرض الواقع المعاصر.. أنموذجاً حياتياً عاماً عملياً تطبيقياً. والاقتداء الحقيقي بها لا بد أن يسبقه تصور نظري شامل، يهدي هذا التطبيق، ويحميه من الزيغ، لأن العمل بدون علم يكون معرضا للضلال، والعلم بدون العمل يكون حجة ووبالاً على صاحبه. فالأمل معقود علي "مشروع" بأسلوب متخصص يقوم على جمع شامل كامل للهدي النبوي، وفقه السنة، لا ينسى منها شاردة ولا واردة، ويحدد العام ويفصل الخاص. ويستخرج فهماً علمياً متناسقاً يهدي للعمل والتطبيق. ويقتفي توجيه السماء لتجربة الإسلام الأولى التي بدأت بالإنسان، ومرت بالدولة، وانتهت بالحضارة التى "سطعت شمسها" علي مساحات واسعة من العالم. فمطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى قراءة السيرة ودراستها دراسة إستراتيجية في مختلف الحالات التربوية والاجتماعية والعلمية والثقافية والإدارية والأمنية والاقتصادية والسياسية .

"خريطة شاملة".. في التربية والتعليم والبيان

أربعون عاماً قبل البعثة، ثم ثلاثة وعشرون عاماً بعد الرسالة.. ملئت بأعباء ضِخام، ومهام جِسام للرسول، صلي الله عليه وسلم. وعلى الرغم من ذلك نجد اهتمامه الكبير بدور الأسرة واستقرارها، والأم وحُسن اختيارها، والزوجة ومودتها والرحمة بها ومشورتها، والغلمان ومسئولية تربيتهم، وتنمية قدراتهم ونبوغهم، والخدم

والرفق بهم، والأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة والعناية بهم، وقيمة الوقت واستثماره، والعمل وإحسانه وإتقانه. وله، صلى الله عليه وسلم، في كل ذلك أهدى المناهج التربوية، وأقوم الطرائق التعليمية، وأغزر أيسر السبل التطبيقية. وإن الدور العظيم لدار الأرقم مدرسة/ محضن المؤمنين السابقين الأولين، ليتميز بعطاء منهجي تربوي متكامل.

وفي سِفره الرائع "النور الخالد.. محمد، صلي الله عليه وسلم، مفخرة الإنسانية" يخصص العلامة "محمد فتح الله كولن" قسمه الثاني للحديث عن "النبي، صلي الله عليه وسلم.. مُربيا". ثم يذكر ـ في الفصل الرابع منه ـ عدة أمثله من نظم تربيته، وتعليمه صلي الله عليه وسلم. ومن ذلك: أسلوب التهيئة بطلب الإنصات، والتعليم بالقصة وضرب الأمثال، والرسوم التوضيحية لتبسيط الأمر، والشروح العملية التعليمية، والمحاكاة، والتدريب المهني، والحركات المعبرة، وتنويع المنبهات، واستشهاد بالأشياء والعينات/ وعناصر الكون لتقريب المراد، واستخدام الحصى، والعصا، والمجسمات/ الدمى، و"الألعاب التعليمية"، واستثمار المواقف في التعليم، وتنويع العرض، والإجابة بالقواعد العامة، والتعود على طلب معرفة العلة، ومناط الحكم، وتعليم منهجية الاستنباط، وأسلوب الإقناع العقلي، وتوضيح المسائل عن طريق التعليل، والشرح، والتعليم يلزمه بعض التلقي، وتأكيد ما يحتاج التأكيد، وتكرار الكلام حين الحاجة، وعدم التشدق، والتقعر في الكلام، والترغيب في العلم، والرحلة في طلبه، والبعد عن المشتتات، والتدرج في التعليم، ومراجعة الحفظ، والقيام بواجب العلم، تشجيع طلابه، ومعرفة القدرات، ومراعاة الفروق الفردية، والعناية بتعليم المرأة، والتوجيه للتخصص المناسب الخ. ولم لا.. فحسن التنشئة والتربية والتعليم والعمل سبيل هداية للبشرية، ونهضتها الحضارية، وحلاً لمشكلاتها التربوية والتعليمية والاجتماعية المستحدثة .

ونحن نعيش "ثورة معرفية وتقنية هائلة"، وفي لبها "ثراء" لساني ولغوي وبلاغي متنام ومتراكم للغات الحية. و"تدافعها" من أجل الاستحواذ والقيادة والريادة. واللغات هي "وعاء، ومادة التفكير" ووعاء التعلم والتعليم والعلوم والمعارف والفكر والإدارة. إن معظم دول العالم المتقدم (بالأخص 19 دولة في صدارة العالم علميا وتقنياً) تُدرس علومها، وتجري بحثها العلمي بلغاتها الأصلية القومية. وإنك واجد معجزة الإسلام الخالدة والخاتمة "معجزة متعددة الجوانب" منها بلاغة وبيان القرآن الكريم، و"العقل البياني" في فصاحة الرسول العدنان. فكونه، صلى الله عليه وسلم، بعث مبلغاً ومعلماً فلا يزال في كل مقام يقومه، وموطن يشهده: (يأمر بمعروف وينهي عن منكر، ويشرع في حادثة ويفتي في نازلة، والأسماع إليه مصغية، والقلوب لما يرد عليها من قوله واعية. وقد تختلف عنها عباراته ويتكرر فيها بيانه ليكون أوقع للسامعين، واقرب إلى فهم من كان منهم اقل فقها وأقرب بالإسلام عهداً...). وكان من فصاحته وبلاغته وبيانه وجوامع كلمه تعبيره عن المعاني الكبيرة بألفاظ

يسيرة، واستحدث ألفاظاً لم تُسمع قبله، واتقن لهجات القبائل، فراسلهم بلهجاتهم، وتكلم مع وفودهم بكلمات لم يفهمها صحابته. وكان "حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن ."

"خريطة شاملة".. في النفس والاجتماع والتحضر

لقد نحت دراسات ومصنفات السيرة النبوية منحى يرمي بثقله في اتجاه المعارك والغزوات والشمائل، وقد تعالج المفردات الدعوية والتشريعية والسلوكية منفصلة عن سياقها العضوي العام. قلَّما أشار المؤرخ الإسلامي القديم إلى السنن والنواميس والقوانين الاجتماعية التي تحكم حركة التاريخ. رغم أن القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة لفتت أنظار المسلمين إلى ذلك بوضوح، بل إن أحداً من مؤرخي الإسلام لم يحاول إعادة صياغة النظرة السننية للتاريخ وعالم الشهادة وتقديم الوقائع والشواهد عليها بشكل نظريات كلية حتى وقت متأخر عندما كتب ابن خلدون "مقدمته ."

فوجود مقاربة منهجية شمولية حضارية للسيرة النبوية (أنظمة/ مناهج فهم) سيحَدد طبيعة المعرفة، وقيمتها، وحقل عملها، واتجاهها، وكيفية البناء عليها، والتوليد منها. وستنير ـ هذه المقاربة- جوانب النفس والاجتماع والتاريخ والأدب والاقتصاد والسياسة. وستعطي صورة كاملة عن ملامح المجتمعات الفاضلة، وسلوكها الجمعي الرشيد. وصورة عن الأدب وأثره في بناء وجدان المجتمعات، وعن المال وفطرة التملك وعلاقته بحياة الإنسان، وصورة عن إدارة شؤون هذا الإنسان كفرد ومجتمع. وهكذا تتعاون هذه الجوانب وتتشابك في علائقها لتشكل الصورة الشمولية المفصلة للسيرة النبوية، لتسهل انتقال العقلية الإنسانية إلى التطبيق الشمولي في الواقع اليومي، وعندها تخرج المؤسسات المشرفة على بناء المثال الإسلامي الحي في حياة الناس كحصاد مثمر. فالواجب تجريد السيرة من قيد الزمان والمكان لتجيب عن أسئلة الواقع ومشكلاته. ومما يؤكد ذلك: أن ترتيب سور القرآن وآياته (والسيرة بيان عملي للقرآن) لم يجئ حسب سبب نزولها.. زماناً ومكاناً؛ لئلا يبقى المتأسي أسير الزمان والمكان، بل ليبقى مسخِّراً للزمن متحكِّماً فيه يستطيع تحديد الموقع المناسب للاقتداء عبر قيم القرآن الكريم ومسيرة السيرة بحسب الظروف وطبيعة أقدار التدين.

لذا ستكون الشمولية العلمية للسيرة النبوية نتيجة طبيعية للشمولية التطبيقية، مثلما أن الشمولية التطبيقية، نتيجة طبيعية للشمولية النظرية والعقيدية. وهي المرحلة النهائية لبزوغ علوم إسلامية، بعد الاختبار والتجربة والتطبيق، والتصويب الذي صحح التطبيق وحكم مساره. إنها مرحلة الوصول إلى استخراج السنن والقواعد والأصول، التي تحكم تلك العلوم، حيث تم التوصل إلى: علم النفس الإسلامي، وسننه، وعلم التربية وسننها، وعلم الاجتماع الإسلامي وسننه، وعلم الاقتصاد الإسلامي وسننه، وعلم السياسة الشرعية وسننها.

فلقد كانت بعثته -صلى الله عليه وسلم - في البدء حركة صوب تكوين الإنسان المؤمن صانع الدول والحضارة الإيمانية التي تستمد منهجها ومفرداتها من هدي الله سبحانه، وتقوم على لقاء الوحي بالوجود، والتحقق بالبديل الحضاري الملائم للإنسان ووظيفته التعبدية والعمرانية. إن المُدهش في تلك المقاربة المنهجية الحضارية للسيرة النبوية هو أن مجموع سيرته، صلى الله عليه وسلم، تدل بجلاء على أنه مخلوق خلقة متميزة بنفسها، اجتمعت فيه البشرية في أرقى صورها، وأنوار الوحي الإلهي في أبهى إشراقاتها. فتبقى لسيرته الشريفة صفة "المعيارية الخالدة" في الإطار العملي الإنساني الحضاري.

النبي القدوة معلما ومربيا



➢ عصام جمعة
➢ باحث في الشريعة والقانون

ونحن على مشارف عام دراسي جديد ومع شهر ميلاد النبي الأعظم والرسول الأكرم كان من المهم أن نتحدث عن النبي القدوة المعلم والمربي فنجمع بين الخيرين ، فإن البشرية لم ترقي في تاريخها الطويل معلما أتقن فنون التعليم والتربية والتوجيه مثل محمد بن عبدالله، فخرّج جيلاً فريداً مميزاً من الصحابة لم تجد الدنيا لهم نظير.

حينما بعث الله النبي صلي الله عليه وسلم كان أغلب الناس في الجزيرة العربية لا يعرفون القراءة ولا الكتابة وعبّر النبي صلي الله عليه وسلم عن ذلك بقوله[إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب](1).

ومات النبي صلي الله عليه وسلم وقد أصبحت الكتابة سائدة في الأمة, وأصبح للأمة كتّاب للوحي وكتّاب للرسائل, ففي خلال ثلاثة وعشرين عاما حدثت نقله عظيمة للأمة من الأمية والجهل إلى العلم والنور, وكانت التجربة النبوية ناجحة حيث لم يترك الأمة إلا وهي قد كتبت وتعلمت, ثم بعد ذلك خرّجت الأمة علي امتداد تاريخها علماء افذاذ شهد لهم العالم واسهموا في العطاء الإنساني والحضاري فكان في الطب ابن سينا وابن النفيس وفي الكيمياء جابر بن حيان والكندي وفي الفلك البيروني وفي الجغرافيا الإدريسي وغيرهم الكثير.(2)

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف نجحت التجربة النبوية في التعليم ؟ في حين نجد في عالمنا اليوم الكثير من المؤسسات العلمية والتعليمية تشكو عزوف الطلاب عن القراءة وهجران المكتبات والعلم والتعليم خاصة في بلاد المسلمين , ولابد أن نعترف بأن هناك خلل واضح في العملية التعليمية وعلاج هذا الخلل في التعرف علي المهج النبوي في التعليم فهو المعلم والمربي الأول, وسيكون حديثنا عن التجربة النبوية من خلال محورين رئيسيين:

المحور الأول: مقومات المنهج النبوي في التعليم

من أهم هذه المقومات والتي جعلته يحقق هذا الإنجاز في مده زمنية قصيرة

أولاً: جعل العلم عبادة

جعل النبي صلي الله عليه وسلم العلم عبادة نتقرب بها إلى الله وتكمن أهمية ذلك أنك وأنت تطلب العلم تعبد الله سبحانه, فتقترب منه بقدر ما تتعلم وهذه مسألة أساسية وهي مسألة المزج بين العلم والعبادة ويكون المطلوب الأساسي هو رضا الله سبحانه، وليس رضا الناس أو لاستجلاب مناصب.

وفي الإسلام دائما يأتي العلم قبل العمل فلن يستطيع المسلم أن يعبد ربه عبادة صحيحة إلا بعد العلم قال تعالى{فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك}(محمد-19) وترجم الإمام البخاري في صحيحه بابا بعنوان : العلم قبل القول والعمل.

بل إن الله عز وجل سخر كل شيء في هذا الكون لخدمة طالب العلم وجعله النبي سببا لدخوله الجنة قال صلي الله عليه وسلم[من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع](3), وجعل خروج الطالب إلي جامعته أو مدرسته وقد أخلص النية لله فهو في سبيل الله[من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع]. (4)

وقد يختلط الأمر عند بعض الناس عن مفهوم العلم وهل المقصود هو العلم الشرعي أم الدنيوي؟ وحقيقة أن الإسلام لم يفرق بين الأثنين فهما مطلوبان فقد كان علماء الإسلام وهم يطلبون العلم يبحثون عن العلم بالمعنى الشامل , عن العلم الدنيوي الذي يصلح دنياهم والعلم الشرعي الذي يصلح آخرتهم, وكنت ترى العالم الموسوعي المتبحر في كل العلوم فتجده عالما بالتفسير والحديث والفقه وفي نفس الوقت تجده متبحرا في الطب والفلك والهندسة.

وعندما فهم السلف مراد الله من العلم تقدموا وقادوا وسادوا, أما الآن حدث ولا حرج فأمة الإسلام متخلفة وذلك بسبب جهلنا بفهم الإسلام فهما حقيقيا فأصبنا الجمود وكان هذا الانفصام النكد بين ما يطلبه الإسلام منا وما نطبقه نحن , فلا فهمنا العلم الشرعي ولا درسنا العلم الدنيوي حتي صرنا في ذيل القائمة.

وما فتئ الزمان يدور حتى — مضي بالمجد قوم آخرونا

وآلمني وآلم كل حر — سؤال الدهر أين المسلمون

لابد أن تحسن الأمة صناعة العلم من جديد حتى تعود إلى الصدارة وأن تكون هناك رؤية واضحة فالعلم الحقيقي هو الذي يمنحك القوة التي تحميك وتحمي الحق الذي تحمله.

ثانياً: انتصاب النبي صلي الله عليه وسلم للتعليم

كان النبي صلي الله عليه وسلم يعلم الناس بنفسه, وقد مارس كل أنواع التعليم في كل المجالات ولكل الأصناف فكان يعلم الناس أفرادا وجماعات , ذكورا وإناثا, صغارا وكبارا, في المساجد وفي الطرقات وفي كل المناسبات, وكان يعلم الناس بالتلقين أو يجيب علي اسئلة السائلين, وكان في تعليمه للناس بمثابة الوالد المشفق الحنون والمحب الناصح فقد روى ابو هريرة أن النبي قال[إنما أنا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم](5)

ثالثا: بعث المعلمين لتعليم الناس

كان النبي صلي الله عليه وسلم يبعث المعلمين ويحسن الاختيار فكان أول هؤلاء مصعب بن عمير الذي بعثه النبي إلي المدينة معلما، ومعاذا بن جبل والذي أرسله إلى اليمن قاضيا ومعلما ومفتيا, وغيرهم وكانوا معلمين بمعنى الكلمة , بمعنى أن لديهم من التعليم في ذاته ولديهم من طرق التعليم ما يجعلهم مؤهلين لتلك الوظيفة المهمة, وحين وقع أسرى بدر من أهل مكة بعد غزوة بدر الكبرى جعل النبي صلي الله عليه وسلم فداء الواحد منهم أن يعلم عشرة من أهل المدينة الكتابة والقراءة, فقد جاء في الحديث [كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله فدائهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة](6), بل دلت الشواهد علي أن زيد بن ثابت كان ممن تعلموا القراءة والكتابة على يد أسارى بدر.(7)

المحور الثاني: السمات التي تميز بها النبي القدوة المعلم والمربى

وهذا المحور هو رسالة لكل مربى ومعلم يريد أن يقتدي بالمعلم الأول وكيف كان يعلم أصحابه, هل علمهم بالضرب والسوط , هل علمهم بالحديد والنار, هل علمهم بالسب والشتم, أم علمهم بالرفق والرحمة واللين, والقدوة والصبر والتشويق والتبسيط وضرب الأمثال وهذه هي الأدوات التي يحتاج إليها المربي والمعلم المبدع.

السمة الأولى: الرفق والرحمة واللين

إن أول أصول التعليم هو الرفق والرحمة واللين بالمتعلم والتيسير والبشاشة , كل هذه الصفات هي مفاتيح للقلوب وكان هذا دأب النبي صلي الله عليه وسلم فهو الذي علم أصحابه كما روت عائشة رضي الله عنها [إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله](8) و روت أيضا رضي الله عنها ان النبي صلي الله عليه وسلم قال[ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه].(9)

فكان يرفق بالمخطئ كما حدث مع الأعرابي الذي بال في المسجد وكذلك الأعرابي الذي جذب النبي صلي الله عليه وسلم جذبة شديدة أثرت في عنقه فابتسم النبي وأمر له بعطاء, والأمثلة في هذا الباب كثيرة والشواهد متعددة, وهذه من رحمة النبي ورفقه بالمتعلم فكان يعذر بالجهل ويقدر ظروفهم ويراعي أحوالهم.

السمة الثانية: التعليم بالقدوة

كان النبي صلي الله عليه وسلم يعلم ويربي الناس بالقدوة ويطبق علي نفسه ما يقول من علم وعمل, فما قال من كلمة إلا وعمل بها وما دعا الناس إلى خير إلا وكان اسبقهم, لقد كان النبي القدوة والمعلم الأول عندما يتحدث عن التواضع يكون أول المتواضعين, وعندما يتكلم عن الكرم يكون أول المنفقين, وإذا تحدث عن الصبر يكون إماما للصابرين,

عندما يكون المعلم قدوة تؤتى العملية التعليمية ثمارها بإذن ربها, قال: مالك بن دينار[إن العالم إذا لم يعمل بعلمه ذلت موعظته عن القلوب كما تذل القطرة عن الصفا], للأسف هناك فجوه الآن بين ما يقوله المعلم والمربي وبين سلوكه فتجد المعلم يدخن في الفصل أو تاركا للصلاة وربما لا يتقن عمله فكيف يربي جيلا ويخرّج أبطالا, ولقد ذم القرآن هؤلاء فقال تعالي{ يا أيها الذين آمنو لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}(الصف:2-3)

ومن أصعب الأحاديث علي النفس ما رواه أسامة بن زيد عن رسول الله أنه قال[يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار، فيقولون: يا فلان ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول: بلى قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر و آتيه].(10)

ومن أجمل الحكم التي أجراها الله علي لسان أبي الأسود الدؤلي عندما قال:

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي	الضنى كيما يصح وانت به سقيم
أبدأ بنفسك فإنها عن غيها	فإن انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم

السمة الثالثة: الصبر الجميل

فالمعلم الجيد يحتاج إلى الصبر علي المتعلم , فالنبي القدوة لا يغضب ولم يكن سريع الغضب ومن ذلك ربما يسأله السائل وهو منشغل مع آخر ولم يراع أدب السؤال فلم يزجره النبي صلي الله عليه وسلم بل أكتفى بالإعراض عنه حتي ينتهي ثم تعامل معه برفق ويجيب على سؤاله فقد روى ابو هريرة قال بينما النبي في مجلس يحث القوم

جاءه أعرابي فقال متي الساعة : فمضي رسول الله يحدث اي يكمل حديثة دون أن يجيبه حتي انتهى قال : أين السائل عن الساعة : قال ها أنا يا رسول الله قال صلي الله عليه وسلم[إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة , قال : وكيف إضاعتها قال: إذا وسُد الأمر إلى غير أهله](11) والحديث ينبه على أدب العالم والمتعلم.

(1)صحيح البخاري.

(2)المنهج النبوي في التعليم, محمد أحمد قنديل, مجلة الوعي العدد, 658.

(3)رواه مسلم.

(4)رواه الترمذي.

(5)رواه ابو داود وحسنه الألباني.

(6)رواه أحمد.

(7)السهيلي في الروض الأنف, 167/5.

(8)متفق عليه.

(9)صحيح الجامع.

(10)رواه البخاري ومسلم.

(11)رواه البخاري.



❖ الاختراق الساساني للقيم السياسية الإسلامية 1

- مقال
- الباحث عدوم لخضر

إن خصيصة احتكاك الحضارات وتصادمها أحيانا طبعت التاريخ البشري كله ، ولا يعرف - فيما أعلم- حضارة استقلت بذاتها وانكفأت على نفسها طيلة مدة بقائها دون أن يسبب لها ذلك اختلالا في بنيتها وزعزعة في قواعدها ، وإذا نظرنا إلى هذه الخصيصة في مفهومها العملي فيمكنها أن تكون معينا لسبل التقدم نحو الأمام إذا حسن تفعيلها وفق آليات الحفاظ على أصول الذات الحضارية - الهوية بالتحديد- واستثمار الوافد الخارجي بعد تنقيحه وصقله بما يتوافق مع مكونات هذه الذات، ويمكنها - أي هذه الخصيصة - أن تكون في السياق ذاته عوائق ومطبات تصد حركة التقدم إذا ما غاب حسن التعامل معها وفقدت آليات ترشيدها ، ولقد جرت هذه الخصيصة في الحضارة الإسلامية على امتداد التاريخ الإسلامي، حيث كان لها احتكاك وتصادم مع حضارة كان لها حضور بارز على المشهد التاريخي قبل قيام الدولة الإسلامية وهذه الحضارة هي الحضارة الفارسية الساسانية ، ونحن في هذا المقال والمقال الذي يليه سنبين صورة من صور الاحتكاك لا التصادم ، ساد على الصعيد الثقافي السياسي بالتحديد ، وهو احتكاك سلبي للأسف الشديد ذهبت ضحيته قيم سياسية كلية ومبادئ ضرورية لبقاء الدول..ويحسن بنا قبل بسط الكلام في مضمون المقال أن نضع تعريفا للدولة الفارسية الساسانية حتى يأخذ المقال مساره الطبيعي نحو المقصود وتكون الصورة واضحة لدى القارئ الكريم

- الدولة الساسانية الفارسية هي:" الدولة التي خلفت الدولة الأخمينية وسعت إلى تجديد تقاليدها واسترجاع أمجادها ، أسس الدولة الساسانية الملك أردشير سنة 224م ،وقيل سنة 226، و يرجع نسب هذا المؤسس إلى بابك بن ساسان الذي تذكر المصادر أنه كان كاهنا لمعبد النار في مدينة

برسبوليس = إصطخر وإليه نسبت تسمية هذه الدولة ، وقد اتخذ مؤسسها الديانة الزرادشتية ديانة رسمية ، سقطت هذه الدولة سنة 651 م على يد الفتح الإسلامي لبلاد فارس ×

ولأردشير هذا وصية تسمى ب "عهد أردشير "كان قد كتبها حين دانت منه المنية ، وفيها وصايا ونصائح وإرشادات للملوك الذين سيعقبونه ، وستكون لنا وقفة معها ومع بعض نصوصها..

إننا بالنظر إلى الموقع الجغرافي لمنطقة جزيرة العرب حاضنة الإسلام وقيمه نجدها على تماس مع هذه الإمبراطورية ،الأمر الذي يجعلها تتفاعل معها تتفاعلا ضروريا سواء على الصعيد النظري العلمي أو الإجرائي العملي، سيما وأن الإسلام قد انفتح على هذه الإمبراطورية ومنح مساحة للاستفادة منها واقتباس ما يوافق تشريعاته ومقاصده ، وهذه خصيصة مهمة في الإسلام - ما إن ضبطت- تكسبه حيوية ومفعولية أكثر، وتؤهله للتكيف مع مختلف الحضارات التي تتعاقب على الزمان ، وقد ترجم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الخصيصة واقعا ،فأخذ من الفرس فكرة الخندق وهي آليه عملية حربية أسهت بشكل كبير في نصر المسلمين يوم غزوة الخندق ، وسار على هذا المنحى الإسلامي النبوي الصحابة الكرام عليهم الرضوان يتقدمهم الخلفاء الراشدون ، حيث نجد عمر بن الخطاب يستعير من حضارة فارس فكرة الدواوين ويحاول استعمالها في تقسيم الغنائم والأموال التي فاضت على الدولة الإسلامية أيام حكمه رضي الله عنه بسبب الفتوحات التي كان يقودها... وغير ذلك من التفاعلات التي حدثت في التاريخ بين هاتين الحضارتين " الحضارة الإسلامية ، والحضارة الفارسية" ، لكن الملفت للنظر أن المسلمين بعد فتحهم لبلاد فارس سنة 20 ه واستقرارهم فيها زمنا ، لم يتفطنوا لأمر مهم وخصيصة تتميز بها الحضارة الفارسية ستشكل لهم فيما بعد خطرا على هويتهم الثقافية السياسية بالخصوص،،، لقد عُرفت بلاد فارس من قبل الفتح الإسلامي بظاهرة " استيعاب الفاتحين" ثقافيا ، وهي ظاهرة ممتدة في تاريخها بدءا بالإسكندر المقدوني الذي أخضعته لثقافتها بعد أن فتحها في القرن الرابع قبل الميلاد وانتهاء بالصفويين في القرن السادس عشر ميلادي ، الذين ذابوا في الثقافة الفارسية لغة وثقافة وسياسة، مع أن أصولهم كانت تركية ، وقد أدرك ذلك محمد بن مختار الشنقيطي فكتب يقول: " وأما ظاهرة ابتلاع الثقافة الفارسية للأمم التي غزتها فهي ظاهرة ممتدة في الزمان أيضا ، تكررت على مدي الألفي عام المنصرمة ، ابتداء من الإسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد ، وانتهاء بالصفويين في القرن السادس عشر الميلادي ، فتجربة الصفويين هي آخر مثال على هذه الظاهرة الثقافية المثيرة ، فرغم أن الصفويين في أصلهم " أسرة تركية" فإنهم سرعان ما ذابوا في السياق الفارسي لغة وثقافة وسياسة ، بعدما أصبحوا سادة بلاد فارس ×× ""

ويعلل إمام عبد الفتاح إمام انهزام المدينة الجمهورية اليونانية أمام النظام الملكي بغزو إسكندر المقدوني لبلاد فارس ، في إشارة واضحة إلى أن الفاتح إسكندر المقدوني قد تماهى - شعوريا أو لا شعوريا - مع الثقافة الفارسية الشرقية لذلك حول الجمهورية اليونانية بعد أن تقلبت فيها الأنظمة إلى نظام ملكي صرف، يقول إمام :" صحيح أن المدن اليونانية تقلبت عليها الأنظمة ، وعرفت - من بين ما عرفت - النظام الملكي ، لكنه لم يكن بقسوة النظام الشرقي ، وتبعا لذلك يظل من الصواب أن نقول إن المدينة اليونانية كانت جمهورية مقابل النظام الملكي في الشرق ، ولذا فإنه يقال عادة إنه بعد غزو الإسكندر للشرق انهزمت المدينة اليونانية الجمهورية ، وانتصر النظام الملكي ، فقد قامت دولة واسعة الأرجاء كثيرة السكان على أنقاض مقاطعات صغيرة وانتقل مركز الثقل في العالم اليوناني نحو الشرقxxx "

ولم يكتف الإسكندر المقدوني بتحويل النظام الجمهوري اليوناني إلى نظام ملكي متأثرا في ذلك بالثقافة الفارسية، بل ابتدع بدعة لم يعهدها الشعب اليوناني الذي تشرب قيم الحرية والديمقراطية زمنا ، وهذه البدعة هي بدعة " تأليه الحاكم" التي أخذها من الحضارة الفارسية، وتقضي بضرورة تأدية السجود للملك ، يقول إمام :" بدأ الإسكندر يأخذ بعادات أهل الشرق وثيابهم ، ويتزوج منهم ، إلى أن وصل إلى أعلى عادة وهي تأليه الحاكم .... وشيئا فشيئا بدأ الإسكندر يعتقد أنه الإله حقا ، وبأكثر من المعنى المجازي لهذا اللفظ . وهكذا ابتداء من ربيع عام (327 ق.م) بدأت سياساته الخاصة بالمزج وإدماج العناصر المقدونية بالفارسية تأخذ منحى جديدا ، عندما أزمع على اقتباس عادة فارسية هي السجود التي كان يتعين بمقتضاها على جميع من يقتربون من الملك أن يؤدوها..xxxx"...

واستنادا إلى النصين اللذين أوردهما إمام ، يمكن القول أن القيم الديمقراطية اليونانية القائمة على العدالة والخير العام، قد أصابها الضمور بعد الفتح الفارسي الذي قاده الإسكندر المقدوني ، فأصبح - بعد تحويل النظام من جمهوري إلى ملكي و بدعة تأليه الحكام التي سنها الإسكندر- من المتعذر إقحام الأمة في الشأن السياسي، كما أن المناخ الاستبدادي أصبح مهيئا ،سيما إذا علمنا أن العالم الشرقي الذي تأثر به الإسكندر معروف بداء الاستبداد، وقد شخصه هيغل في كتابه " العالم الشرقي " وكتب عنه قائلا :" كل ما عرفه الشرق هو أن شخصا واحدا حر هو الحاكم ، أما المواطنون ، فهم جميعا عبيد لهذا الحاكمxxxxx "

وقانون السجود للحاكم أكبر تجل لصورة الاستبداد في العالم الشرقي وبالخصوص بلاد فارس ،

وعند المقارنة بين القيم الديمقراطية اليونانية و القيم السياسية الإسلامية لما احتكتا بالحضارة الفارسية نجدهما يتفقان في المآل ، فالقيم الديمقراطية اليونانية ضمرت بعد الاختراق الثقافي السياسي الفارسي وكذلك الشأن

بالنسبة للقيم السياسية الإسلامية وسيأتي بيان ذلك تباعا ، وقد أحسن محمد بن مختار الشنقيطي التعبير عن ذلك فكتب:" ويوجد شبه عجيب بين مآلات القيم السياسية اليونانية والقيم السياسية الإسلامية من حيث احتكاكها بالعالم الشرقي - خصوصا في بلاد فارس - وتأثرها به ، فقد سادت في اليونان ظاهرة المدن الديمقراطية ، وهي المكافئ الإسلامي لدولة المدينة المنورة في العصر النبوي والخلافة الراشدة ، ثم عصفت الفتن السياسية بتاريخ اليونان ، وتقاسم مدنها ، صغار الملوك ، فتأرجحت - قبل أيام الإسكندر المقدوني (356-323 ق .م) بين الديمقراطية والملك ، فيما يشبه الحروب الأهلية التي خاضها المسلمون خلال العصر الأموي لاسترداد الخلافة الراشدة××××××"

إن سنة التأثر بالحضارة الفارسية شملت المسلمين وحضارتهم ولم تستثنهم ، خاصة في أواخر العهد الأموي وبدايات العهد العباسي وشيوع الترجمة ، ولقد كانت بدايات هذا التأثر مع سالم مولى أبي العلاء وتلميذه عبد الحميد الكاتب الأديب ، الذي كان في بلاط الدولة الأموية عاملا في الدواوين ، يكتب الرسائل إلى ولاة الأمصار بأسلوب أدبي بديع يستبطن قيما كسروية خادمة للبلاط الأموي ، وقد سمي بالكاتب نسبة لعمله هذا ، كما أنه كان متقنا للغة الفارسية، ولعل هذا أحد العوامل التي مكنته من إدخال الموروث الفارسي إلى بلاط الدولة الأموية من طريق الترجمة ، سيما وأن الدولة الأموية المثخنة بالفتن والاضطرابات كانت بحاجة إلى قيم سياسية جديدة تساعدها على تهدئة الأمور وضبط الأوضاع، ووجدت ذلك في الموروث الفارسي وأساسا في قيمة الطاعة ، يقول العسكري :" إنه استخرج (أي عبد الحميد الكاتب) أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي××××××× "

ومن هنا يصح القول أن الموروث الفارسي أخذ يدخل إلى الثقافة الإسلامية السياسية من طريق الأدب، وإذا تقدمنا في التاريخ قليلا إلى العهد العباسي فإننا نجد الموروث الفارسي بدأ يستمكن شيئا فشيئا من الثقافة الإسلامية خاصة مع الأديب ابن المقفع صديق عبد الحميد الكاتب ومؤلف كتاب (كليلة ودمنة)،وكاتب الديوان لثاني الخلفاء العباسيين أبي جعفر المنصور ، وكذا مع الأديب الجاحظ الذي ينسب إليه كتاب التاج ، المملوء بالقيم الساسانية التي أضحت تزاحم ما تبقى من القيم السياسية الإسلامية ، والجاحظ نفسه صرح بذلك حينما قال :" ولنبدأ بملوك العجم، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وعنهم أخذنا قوانين الملك والمملكة، وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية، وإلزام كل طبقة حظها، والاقتصار على جديلتها: كان أردشير بن بابك أول من رتب الندماء، وأخذ بزمام سياستهم، فجعلهم ثلاث طبقات××××××× "

وفي النص الذي أورده الجاحظ ما يذكرنا بأن الحضارة الإسلامية كانت تعاني فراغا سياسيا رهيبا خاصة على المستوى المؤسساتي والتنظيمي ،فاضطرها الحال إلى الاقتباس من الحضارتين الرومانية، والفارسية بالخصوص ، على أن ما يهمنا أكثر في النص الجاحظي ، هو ذكره للملك أردشير مؤسس الدولة الساسانية كما تقدم ، وصاحب الرسالة المسماة ب" عهد أردشير " التي كان قد كتبها قبل وفاته ،وفيها نصائح سياسية للملوك وطرائق الحفاظ على الملك وأمنه ، وكيفية توظيف الدين لتحقيق ذلك ،يقول محمد الأمين فرشوخ :" اشتهر أردشير في كتب الأدب بوصيته السياسية إلى الملوك والمعروفة ب " عهد أردشير وقد ترجم إلى العربية في أواخر العصر الأموي وفيه" نشر وتكريس القيم الكسروية " من : توظيف الدين في تأسيس الدولة ، وكيفية تأديب العامة وتدبيرها لتطيع وتعظم ملوكها ، والأخلاق التي يجب أن تبنى عليها العلاقة بين الدين والملك ، وبين الملك والرعية ، فالنظام الطبقي هو قيمة القيم ، وهو يسمح أن يمارس الأعلى سلطته على الأدنى ولو بعنف ، وهو عنف مبرر أخلاقيا وهو العسف ، وهو التضحية بالبعض لصلاح الباقي×××××××× "

وهذه القيم تجد صداها في الفقه السياسي السلطاني الذي حكم التاريخ السياسي الإسلامي ولتجلية الأمر أكثر ، سنقوم باقتباس بعض النصائح الواردة في عهد أردشير الذي تمت ترجمته أواخر العهد الأموي ، ونبحث عن نظائرها في التراث السياسي الإسلامي ثم نقوم بمقارنة بسيطة لنقف على ظاهرة الاختراق الثقافي الساساني للحضارة الإسلامية ، وهذا ما سيتناوله المقال الثاني بإذن الله...

يتواصل

- ×معالم تاريخ الدولة الساسانية - عصر الأكاسرة- ، مفيد رائف محمود العابد ، ص : 39 ،،و العلاقات السياسية الساسانية - البزنطية ، مهدية فيصل صالح ، دار، ص 69
- ××لأزمة الدستورية ، الشنقيطي ، ص 343
- ×××إمام، الطاغية ، ص 3
- ××××المرجع نفسه ص 32 - 33
- ×××××هيجل ، العالم الشرقي ، 16
- ××××××الأزمة الدستورية ، الشنقيطي ، ص 344
- ×××××××العسكري ، الصناعتين 69
- ××××××××التاج في أخلاق الملوك ، الجاحظ ص 21، ونحن لا نعتقد أن الكتاب للجاحظ لأن الخلفية المعتزلية التي يستند إليها الجاحظ لا تسعف لتبني هذا الموقف ، ونسبتنا هذا الكتاب إلى الجاحظ تجوزا فقط وتماشيا مع الطبعات الموجودة على الساحة المعرفية""
- ×××××××××محمد الأمين فرشوخ ، نقد نظم القيم في الثقافة العربية - محمد عابد الجابري - جريدة المحور ، ص 11

❖ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ



➢ بقلم فضيلة الشيخ أحمد على تركى
➢ مدرس القرآن الكريم بالأزهر الشريف

الحياة الزوجية ليست لقاءً عابرا، أو صحبةَ يوم أو يومين، وإنما هي صحبةٌ الأصل فيها الديمومة، فهي شراكة طويلة وحياة ممتدة لسنوات في الغالب طويلة، وإذا لم تكن هذه الحياة مطمئنة سعيدة كانت عبئا على أصحابها وباب هم وغم ونكد، ولذلك أمر الإسلام بكل ما يلزم من أسباب السعادة والهدوء والدعة والاستئناس بين الزوجين خاصة، وأفراد الأسرة عامة..

ومن أهم أسباب السعادة والاطمئنان ما أمر الله تبارك وتعالى به الأزواج من حسن المعاشرة والتلطف قال تعالى :وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ{النساء: 19]

وإنما خص الله تعالى الرجال بهذا الأمر، وإن كانت النساء أيضا مأمورات به، لأن المرأة هي الطرف الأضعف في هذه الشراكة، وهي الأكثر احتياجا لهذا من الرجل، وأيضا لطبيعتها التكوينية والنفسية فهي أكثر تأثرا به وتفاعلا معه، ثم للمردود الحسن لمن يحسن إليها.. إلى غير ذلك من العواقب المحمودة لحسن العشرة.

وحسن العشرة باب واسع تندرج تحته تفصيلات كثيرة.

ونحن نذكر بعض ذلك ولا يخفى عدم الحصر:

١. التلطف والمداعبة:

كما كان النبي صلوات الله وسلامه عليه، يتلطفُ مع زوجاتِه، ويُحسنُ عشرتَهنَّ، بل كانت له في ذلك لمساتٌ رقيقةٌ، فمن ذلك:

.أنه كان يختارُ لزوجتِهِ اسمَ تدليلٍ (دلع) تلطفاً وتقربا وتحببا فكان يقول لعائشة :يا عائش.

وكان يتعمَّدُ أن يشربَ أو يأكلَ منَ الموضعِ الذي شرِبَتْ زوجتُه منه أو أَكَلَتْ، فعن عائشة قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم، فيضع فاه على موضع في، فيشرب.. وأتعرق العِرق، وأنا حائض، ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع في.

رواه مسلم

ومعنى أتعرَّق العرق: "يعني آخذ اللحم من العرق بأسناني، وهو عظم أخذ معظم اللحم منه وبقيت عليه بقية، والمراد هنا العظم الذي عليه اللحم."

والحديث فيه أَرَقُّ وأجمل وأعلى أنواع الملاطفة والمجاملة والتودد والتحبب. فصلى الله عليه وسلم.

في الصحيحين وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك.«

ومعنى الحديث: أنه يؤجر على ما ينفقه في نفقة زوجته..

وروى البخاري في صحيحه في "باب لعق الأصابع ومصها قبل أن تمسح بالمنديل": عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أكل أحدكم فلا يمسح يده حتى يَلعَقها أو يُلعِقَها». قال الإمام النووي : "المراد إلعاقُ غيره ممن لا يتقذر ذلك من زوجة وجارية وخادم وولد."

ب ـ المسابقة والملاعبة:

أخرج أبو داودَ، والنسائيُّ عن أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها قالت: خرجتُ معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وأنا خفيفةُ اللحمِ فنزلْنَا منزلًا فقالَ لأصحابِهِ: تَقدَّمُوا ثمَّ قالَ لي: تعالي حتى أسابِقَكِ فسَابَقَني فَسَبقْتُهُ ثم خرجتُ معَه في سفرٍ آخرَ، وقد حملتُ اللحمَ فنزلْنَا منزلًا فقالَ لأصحابِه: «تَقدَّمُوا» ثم قال لي: «تعالي أُسَابِقَكِ» فسابَقَني فسَبَقَني فضربَ بيدِهِ كَتِفِي وقالَ: هذهِ بتلك.

ج ـ المؤانسة والمجالسة:

وذلك بأن يفرغ كل من الزوجين من وقته ليجلس مع الآخر، فيتحدثان أو يعملان عملا مشتركا، ويستمع كل منهما للآخر، كما كان صلى الله عليه وسلم يفعل مع زوجاته..

فقد روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه.

ومن أشهر شيء في ذلك حديث أم زرع الطويل الذي قصته عائشة على النبي صلى الله عليه وسلم فجلس يسمع من غير ضجر، ويستمتع من غير ملل، حتى علق عليها في آخر الحديث ليدل على اهتمامه بسماعها وكلامها، واستمتاعه بذلك وعدم السآمة.. فاختار أحسن الأزواج وشبه نفسه به وقال: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع، غير أني لا أطلق.»

ومنه ما روته عائشة رضي الله عنها قالت :

لقد كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يضَعُ رأسَهُ في حِجري وأنا حائضٌ ويقرأُ القرآنَ.

رواه ابن ماجه

وفي الحديثِ :

حُسْنُ عِشْرةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ومُراعاتُه لأحوالِ زوجاتِه، وكريم شمائله وأخلاقه.

د ـ المدح والإطراء:

المدح إكسير الحياة الزوجية، والمرأة تحب أن تسمع كلام الإطراء والثناء، ويسعدها أن يتغزل بها زوجها، وكذا الرجل، والأذن تعشق قبل العين أحيانا...

وقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أروع مثال: فكان يمتدح عائشة ويقول: فضل عائشةَ على النساءِ كفضل الثريدِ على سائر الطعام.

متفق عليه

وروى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً :

يا عائشُ هذا جبريل يقرئك السلام، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.

وسألَته يوما: يا رسول الله من من أزواجك في الجنة؟

قال: أما إنك منهن ؟

رواه الحاكم وصححه

وروى البيهقي في دلائل النبوة، وأبو نعيم في حلية الأولياء عن عائشة قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل، قالت: فنظرت إليه، فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا، قالت: فبهتُّ، فنظر إلي فقال: ما لك بهت؟

فقلت: يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا، ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بقوله بشعره .

قال: وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي؟

قلت: يقول هذين البيتين:

ومبرأٌ من كلِّ غُبَّرِ حيضـــةٍ

وفسـادِ مرضعةٍ وداءٍ مُغْيِلِ

وإذا نظرتَ إلى أَسِرَّةِ وجهِهِ

برقَتْ كبرقِ العارضِ المتهّللِ

قالت: فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلي وقبل ما بين عيني وقال :

جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررتِ مني كسروري منك.

الحلية: 46/2

هـ - إظهار المحبة:

وإذا كان بعض الرجال يأنف أو يستحي من ذكر ذلك، فقد كان أكرم الناس يفعله ويعلنه:

جاء في الصحيح أن عمرو بن العاص أتى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله :

أيُّ النَّاسِ أحَبُّ إلَيْكَ ؟

قَالَ: عَائِشَةُ فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟

قال : أبوها.

البخاري

وقد كان هذا مشهورا بين الصحابة رضوان الله إليهم، حتى كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة. يبتغون بذلك مرضاة رسول الله.

رواه مسلم

وجاءته فاطمة ابنته يوما فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة... فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أي بنية ألست تحبين ما أحب ؟

فقالت: بلى .

قال: فأحبي هذه.

رواه مسلم

فصلوات الله وسلامه عليه، ما مر على ظهر الأرض أفضل ولا أكرم ولا أكمل ولا أحسن معاشرة لزوجه وأهله منه كيف لا وهو القائل :

خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي.

رواه الترمذي وابن ماجه

فعلى المسلمين أن يتعلموا من نبيهم ويأتسوا به

{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }

الأحزاب:21



❖ حرب اكتوبر ... ملحمة النصر العظيم

- **بقلم /أ:أحمد الجمال**
- **باحث وكاتب**
- **مقدم التاريخ بالاذاعة المصرية**
- **عضو الاتحاد العالمي للمثقفين العرب وسفير السلام الدولي**

حرب أكتوبر هى الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة التي شنتها كل من مصر وسوريا بدعم عربي عسكري وسياسي واقتصادي على إسرائيل عام 1973م. بدأت الحرب في يوم السبت 6 أكتوبر 1973 الموافق ليوم 10 رمضان 1393 هـ بهجوم مفاجئ من قبل الجيش المصري والجيش السوري على القوات الإسرائيلية التي كانت مرابطة في سيناء وهضبة الجولان. تعرف الحرب باسم حرب تشرين التحريرية في سورية فيما تعرف في إسرائيل باسم حرب يوم الغفران أو يوم كيبور.

حقق الجيشان المصري والسوري الأهداف الإستراتيجية المرجوة من وراء المباغتة العسكرية لإسرائيل، وكانت هناك إنجازات ملموسة في الأيام الأولى بعد شن الحرب، حيث توغلت القوات المصرية 20 كم شرق قناة السويس، وتمكنت القوات السورية من الدخول في عمق هضبة الجولان. أما في نهاية الحرب فإنتعش الجيش الإسرائيلي فعلى الجبهة المصرية تمكن من فتح ثغرة الدفرسوار وعبر للضفة الغربية للقناة وضرب الحصار على الجيش الثالث الميداني وعلى الجبهة السورية تمكن من طرد السوريون من هضبة الجولان.

حلم النصر:

بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في 28 سبتمبر 1970 وكونه كان نائبًا للرئيس أصبح رئيسًا للجمهورية. وقد اتخذ في 15 مايو 1971 قراراً حاسمًا بالقضاء على مراكز القوى في مصر وهو ما عرف بثورة التصحيح، وفي نفس العام أصدر دستورًا جديدًا لمصر

وفي عام 1972 قام بالاستغناء عن ما يقرب من 17000 خبير روسي في أسبوع واحد، ولم يكن خطأ استراتيجي ولم يكلف مصر الكثير إذ كان السوفييت عبء كبير على الجيش المصري.

وكذلك من أهم الأسباب التي جعلته يقدم على هذه الخطوة هو أن الاتحاد السوفيتي أراد تزويد مصر بالأسلحة بشرط عدم استعمالها إلا بأمر منه. حيث أجابهم السادات بكلمة: (أسف) فلا أقبل فرض قرار على مصر إلا بقراري وقرار الشعب المصري، وكان الضباط والجنود المصريين لا يتحدثون معهم في أي تفاصيل عن العمليات الحربية أو حتى التدريب.

وفي أول أكتوبر قام الرئيس السادات بالتصديق على خطة الحرب وذلك وسط اجتماعًا استمر 10 ساعات للرئيس مع حوالي 20 ضابطًا من قيادات القوات المسلحة لتكون الحرب يوم 6 أكتوبر.

أسباب اختيار يوم 6 أكتوبر

بدأ هذا التحديد من برج العرب في شهر يوليو 73 حيث قام الرئيس السادات بالاجتماع مع الجانب السوري خلال رحلة سرية له إلى مصر وفي هذا الاجتماع الذي استمر حوالي أربع ساعات صدر قرار جمهوري مصري سوري بتشكيل المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية السورية برئاسة المشير أحمد إسماعيل الذي كان يحضر هذا الاجتماع.

واجتمع هذا المجلس سراً في الإسكندرية في أغسطس 73 وقرر المجلس تحديد موعد تقريبي للمعركة خلال شهرين من هذا التاريخ.

وقد قام الرئيس السادات والرئيس السوري في حضرة المشير أحمد إسماعيل في أوائل سبتمبر 73 من تحديد يوم 6 أكتوبر الساعة الثانية ظهراً على أنها ساعة الصفر وتم إبلاغ بعض القيادات الأقلة في القوات المسلحة الذين لهم اتصالاً مباشراً بالحرب.

وقد تم تحديد يوم 6 أكتوبر على أساس :

1- يوم عيد الغفران عند الإسرائيليين

2- قبل حلول الشتاء في سوريا وظهور الثلج

3- إتمام وصول بعض أنواع الأسلحة

4- استخدام ضوء القمر والمد والجزر

وبتوفيق الله وجهد القادة المخلصين والجنود المصريين استطاعوا تحقيق النصر عبور خط بارليف وعبور قناة السويس وتحقيق أول انتصار عسكري على إسرائيل.

ومن أهم الأعمال التي قام بها كان قيامه بإعادة الحياة الديمقراطية التي بشرت بها ثورة 23 يوليو ولم تتمكن من تطبيقها، حيث كان قراره الذي اتخذه بعام 1976 بعودة الحياة الحزبية حيث ظهرت المنابر السياسية ومن رحم هذه التجربة ظهر أحزاب أخرى كحزب الوفد الجديد وحزب التجمع الوحدوي التقدمي وغيرها من الأحزاب.

معاهدة السلام

قام الرئيس السادات في عام 1978 برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التفاوض لاسترداد الأرض وتحقيق السلام كمطلب شرعي لكل إنسان، وخلال هذه الرحلة وقع إتفاقية السلام في كامب ديفيد برعاية الرئيس الأمريكي جيمي كارتر. وقد وقع معاهدة كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل مع كل من الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجن.

وقد إنتهت الإتفاقية الأولى بتوقيع معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية عام 1979 والتي عملت إسرائيل على إثرها على إرجاع الأراضي المصرية المحتلة إلى مصر.

وقد حصل الرئيس السادات على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجن وذلك على جهودهما الحثيثة في تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط.

من أقوال الرئيس السادات

"لقد أثبت 6 أكتوبر للعالم مدى صلابة إرادتنا الوطنية وحرصنا على استقلال هذه الإرادة مهما كان الثمن. وأثبت أن خلود هذا الشعب ليس خلود الموتى ولكنه خلود الأحياء، القادرين على أن يجددوا أنفسهم على مر الزمان."

"لم يكن السادس من أكتوبر، مجرد انتصار سلاح على سلاح، ولم يكن مجرد تفوق جيش على جيش، لقد كان نصر أكتوبر وسيبقى رمزاً لما هو أعمل من ذلك بكثير وأبعد تأثيراً على مسار التاريخ المعاصر ... كان كسراً لغرور القوة."

"بالثقة في الله سبحانه وتعالى وبالثقة في النفس. بالثقة في الصديق. بالثقة في القريب. بالثقة في الحق. بالثقة في العدل. سوف نمضى. وسوف يكون الله سبحانه وتعالى هاديًا لمسيرتنا وراعيًا لها."

"ليست الآثار الباقية على أرض صعيد مصر مجرد أحجار صماء. ولكنها شواهد فكر خارق.. وشواهد عمل متقدم .. وشواهد علم دقيق .. كل ذلك يتوجه إيمان عميق بالدين وبالخلود."

"إن مصر لن تموت فقد عاشت فترات حالكة، وأكثر ظلامًا، واستطاعت أن تجتاز كل ما واجهته بإرادة التحدي التي تملكها."

قصص وحكايات عن أبطال الحرب

محمد المصري "صائد الدبابات"

هو بطل آخر من أبطال حرب أكتوبر المجيدة وصاحب رقم قياسي عالمي في عدد الدبابات التي دمرها إذ بلغ مجموع ما دمره 27 دبابة متفوقًا بذلك على زميله الأشهر عبد العاطي الذي دمر 23 دبابة فقط، وهو أيضًا الذي دمر بصاروخه دبابة العقيد الإسرائيلي عساف ياجوري قائد لواء الدبابات الإسرائيلي الشهير.



الشهيد أحمد حمدي

تم تصنيع وحدات لواء الكباري تحت إشرافه المباشر واستكمال معدات العبور، كما كان له الدور الرئيسي في تطوير الكباري الروسية الصنع لتلائم ظروف قناة السويس.

أسهم بنصيب كبير في إيجاد حل للساتر الترابي، وقام بوحدات لوائه بعمل قطاع من الساتر الترابي في منطقة تدريبية وأجرى عليه الكثير من التجارب التي ساعدت في النهاية في التوصل إلى الحل الذي استخدم فعلاً.

وأدرك البطل أن التدريبات التي قام بها مع أفراد وحدات الجيش الثالث الميداني على أعظم عمليات العبور وأعقدها في الحرب الحديثة قد أثمرت، تلك التدريبات التي أفرزت تلك العبقرية في تعامل الجنود مع أعظم مانع مائي في التاريخ وهو ما شهد له العدو قبل الصديق.

وعندما حانت لحظة الصفر يوم 6 أكتوبر 1973 طلب اللواء أحمد حمدي من قيادته التحرك شخصيًا إلى الخطوط الأمامية ليشارك أفراده لحظات العمل في إسقاط الكباري على القناة إلا أن القيادة رفضت إنتقاله لضرورة وجوده في مقر القيادة للمتابعة والسيطرة إضافة إلى الخطورة على حياته في حالة إنتقاله إلى الخطوط الأمامية تحت القصف المباشر إلا انه غضب وألح في طلبه أكثر من مرة .. لقد كان على موعد مع الشهادة.

كرمت مصر ابنها البار بأن منحت أسمه وسام نجمة سيناء من الطبقة الأولى وهو أعلى وسام عسكري مصري، كما اختير يوم استشهاده ليكون يوم المهندس، وافتتح الرئيس الراحل أنور السادات النفق الذي يربط بين سيناء بأرض مصر وأطلق عليه اسم الشهيد.



الشهيد إبراهيم الرفاعي

مع الضربة الجوية الأولى وصيحات الله أكبر ، انطلقت كتيبة الصاعقة التي يقودها البطل إبراهيم الرفاعي في ثلاث طائرات هليكوبتر لتدمير آبار البترول في منطقة بلاعيم شرق القناة لحرمان العدو من الاستفادة منها وينجح الرجال في تنفيذ المهمة.

وتتوالى عمليات المجموعة الناجحة على مواقع العدو الإسرائيلي بمنطقتي (شرم الشيخ) و (رأس محمد) وفي السابع من أكتوبر تنجح المجموعة في الإغارة على مطار (الطور) وتدمير بعض الطائرات الرابضة به مما أصاب القيادة الإسرائيلية بالارتباك من سرعة ودقة الضربات المتتالية لرجال الصاعقة المصرية البواسل .

في الثامن عشر من أكتوبر تم تكليف مجموعة البطل بمهمة إختراق مواقع العدو غرب القناة والوصول إلى منطقة (الدفرسوار) لتدمير المعبر الذي أقامه العدو لعبور قواته.

وبالفعل تصل المجموعة فجر التاسع عشر من أكتوبر في نفس الوقت الذي تتغير فيه التعليمات إلى تدمير قوات العدو ومدرعاته ومنعها من التقدم في اتجاه طريق (الإسماعيلية / القاهرة).

وعلى ضوء التطورات الجديدة يبدأ البطل في التحرك بفرقته ، فيصل إلى منطقة (نفيشه) في صباح اليوم التالي ، ثم جسر (المحسمة) حيث قسم قواته إلى ثلاث مجموعات ، احتلت مجموعتين إحدى التباب وكانت تكليفات المجموعة الثالثة تنظيم مجموعة من الكمائن على طول الطريق من جسر (المحسمة) إلى قرية (نفيشه) لتحقيق الشق الدفاعي لمواقعها الجديدة .

وما وصلت مدرعات العدو حتى إنهالت عليها قذائف الـ (آربي جي) لتثنيه عن التقدم ، ويرفض بطلنا / إبراهيم الرفاعي هذا النصر السريع ويأمر رجاله بمطاردة مدرعات العدو لتكبيده أكبر الخسائر في الأرواح والمعدات .

وبينما يخوض رجال المجموعة قتالاً ضارياً مع مدرعات العدو ، وبينما تتعالى صوت الآذان من مسجد قرية (المحسمة) القريب ، تسقط إحدى دانات مدفعية العدو بالقرب من موقع البطل ، لتصيبه إحدى شظاياها المتناثرة ، ويسقط الرجل الأسطوري جريحًا ، فيسرع إليه رجاله في محاولة لإنقاذه ، ولكنه يطلب منهم الاستمرار في معركتهم ومعركة الوطن ..

ويلفظ البطل أنفاسه وينضم إلى طابور الشهداء .

فقد استشهد الرفاعي وكان يوم جمعة يوم 27 رمضان وكان صائمًا ، ويقول أعضاء مجموعته "كان رحمة الله يأمرنا بالإفطار ويرفض أن يفطر وقد تسلمنا جثته بعد ثلاثة أيام وفي حياتنا لم نر ميت يظل جسمه دافئًا بعد وفاته بثلاثة أيام وتنبعث منه رائحة المسك .. رحمة الله"

الشهيد العقيد محمد زرد



بعد عبور القوات المسلحة المصرية لقناة السويس أضخم مانع مائي عرفه التاريخ وقف خط بارليف المحصن حاجزاً أمام عبور القوات المصرية إلى قلب سيناء إلا إن الهجوم الكاسح اسقط كل هذه الحصون إلا نقطة واحدة بقيت مستعصية على السقوط في أيدي القوات المصرية.

وكانت هذه النقطة محصنة بطريقة فريدة وقوية ويبدو أنها كانت مخصصة لقيادات إسرائيلية معينة .. وفشلت المجموعة المصرية في اقتحام هذه النقطة المشيدة من صبات حديدية مدفونة في الأرض .. ولها باب صغير تعلوه فتحة ضيقة للتهوية ... وكان يقلق المجموعة المكلفة بالتعامل مع هذا الحصن أن الأعلام المصرية أصبحت ترفرف فوق جميع حصون بارليف بعد سقوطها عدا هذا الموقع الصامد الذي فشلت معه كل الأساليب العسكرية للفرقة المواجهة له. ويتطوع العقيد محمد زرد ويصر على مهاجمة الحصن فقد سبق له مهاجمته أثناء حرب الاستنزاف.

وإذا بالأرض تنشق عن العقيد محمد زرد يجري مسرعًا تجاه جسم الموقع متحاشيا الرصاص الإسرائيلي المنهمر بغزارة من الموقع ومن ثم اعتلاه وألقى بقنبلة بداخله عبر فتحة التهوية وبعد دقيقتين دلف بجسده إلى داخل الحصن من نفس الفتحة وسط ذهول فرقته التي كان قائداً لها ، وخلال إنزلاقه بصعوبة من الفتحة الضيقة وجه له الجنود الإسرائيليين من داخل الموقع سيل من الطلقات النارية أخرجت أحشائه من جسده ، وفي هذه اللحظات تأكدت فرقته من استشهاده .

وما هى إلا ثوان معدودة وإذا بباب الحصن يفتح من الداخل ويخرج منه العقيد محمد زرد ممسكًا أحشاؤه الخارجة من بطنه بيده اليسرى واليمنى على باب الحصن تضغط عليه بصعوبة لاستكمال فتحه ويتقدم مقتحمًا الحصن صارخًا : الله أكبر الله أكبر الله أكبر

ويلحق به الرجال وتدور معركة شرسة بالأيدي والسلاح ويتعالى صراخ اليهود ثم ينتهي وقد سقط الحصن في يد رجال زرد ، وقبل أن يفارق الحياة لمس علم مصر وهو يرتفع فوق أخر حصون خط بارليف أقوى حصون العالم في التاريخ العسكري وعندها فقط يبتسم زرد ويرحل إلى الجنة في سلام.



العريف سيد زكريا خليل

قصة الشهيد سيد زكريا خليل واحدة من بين مئات القصص التي أبرزت شجاعة المقاتل المصري، ومن الغريب أن قصة هذا الجندي الشجاع ظلت في طي الكتمان طوال 23 سنة كاملة، حتى اعترف بها جندي إسرائيلي، ونقلت وكالات الأنباء العالمية قصه هذا الشهيد وأطلقت عليه لقب (أسد سيناء).

تعود بداية القصة أو فلنقل نهايتها إلى عام 1996 في ذلك الوقت كان سيد زكريا قد عد من ضمن المفقودين في الحرب، وفي هذا العام أعترف جندي إسرائيلي لأول مرة للسفير المصري في ألمانيا بأنه قتل الجندي المصري سيد زكريا خليل، مؤكداً أنه مقاتل فذ وأنه قاتل حتى الموت وتمكن من قتل 22 إسرائيليًا بمفرده.

وسلم الجندي الإسرائيلي متعلقات البطل المصري إلى السفير وهى عبارة عن السلسلة العسكرية الخاصة به إضافة إلى خطاب كتبه إلى والده قبل استشهاده، وقال الجندي الإسرائيلي أنه ظل محتفظًا بهذه المتعلقات طوال هذه المدة تقديراً لهذا البطل، وأنه بعدما نجح في قتله قام بدفنه بنفسه وأطلق 21 رصاصة في الهواء تحية الشهداء.

تبدأ قصة الشهيد بصدور التعليمات في أكتوبر 73 لطاقمه المكون من 8 أفراد بالصعود إلي جبل (الجلالة) بمنطقة رأس ملعب، وقبل الوصول إلى الجبل استشهد أحد الثمانية في حقل ألغام، ثم صدرت التعليمات من قائد المجموعة النقيب صفي الدين غازي بالاختفاء خلف احدى التباب وإقامة دفاع دائري حولها

على اعتبار أنها تصلح لصد أي هجوم، وعندئذ ظهر إثنان من بدو سيناء يحذران الطاقم من وجود نقطة شرطة إسرائيلية قريبة في اتجاه معين وبعد إنصرافها زمجرت 50 دبابة معادية تحميها طائرتان هليكوبتر وانكمشت المجموعة تحبس أنفاسها حتى تمر هذه القوات ولتستعد لتنفيذ المهمة المكلفة بها.

وقامت الطائرات بإبرار عدد من الجنود الإسرائيليين بالمظلات لمحاولة تطويق الموقع وقام الجندي حسن السداوي بإطلاق قذيفة (آر.بي.جي) على احدى الطائرات فأصيبت واستمر القتال واستشهد كل زملاء البطل (سيد زكريا خليل) فحصل على أسلحتهم وظل يقاتل بمفرده وكان يقوم بالضرب على القوات الإسرائيلية وينتقل من مكان إلى آخر فاعتقدت القوات الإسرائيلية في وجود قوة مصريه كبيرة نظراً لتعدد الضرب من أماكن مختلفة ولذا طلبت الدعم بقوة إسرائيلية أخرى ، وظل (سيد زكريا خليل) يقاتل حتى نفذت ذخيرته وتم تطويق المنطقة ثم استشهد بعد أن تمكن من قتل 22 جنديًا اسرائيليًا ، و عندما وصل الضابط الإسرائيلي إلى جثمان البطل (سيد زكريا خليل) اندهش وقال : أي روح بطولية هذه ؟ ثم أخذ متعلقات البطل واحتفظ بها ، و في عام 1996 ذهب هذا الضابط الإسرائيلي إلى السفير المصري و قدم إليه متعلقات البطل (سيد زكريا خليل) وقص إليه صمود وبطولات البطل وأقر أنه مقاتل من طراز فريد.

وعندما علم رئيس الجمهورية ببطولات البطل (سيد زكريا خليل) منح اسمه نوط الشجاعة من الطبقة الأولى ، و أطلق اسمه على أحد شوارع حي مصر الجديدة.

العميد يسرى عمارة



هو البطل الذي آسر عساف باجوري أشهر آسير إسرائيلي في حرب أكتوبر حيًا على أرض المعركة بالرغم من إصابته، كما سبق له الإشتراك مع أسرة التشكيل في حرب الاستنزاف في أسر أول ضابط إسرائيلي واسمه (دان افيدان شمعون).

عبر العميد يسري عمارة يوم السادس من أكتوبر قناة السويس ضمن الفرقة الثانية مشاة بالجيش الثاني تحت قيادة العميد حسن أبو سعدة وكانت الفرقة تدمر كل شئ أمامها من أجل تحقيق النصر واسترداد الأرض.

وفي صباح 8 أكتوبر ثالث أيام القتال حاول اللواء 190 مدرع الإسرائيلي (دبابات هذا اللواء كانت تتراوح ما بين 75 حتى 100 دبابة) القيام بهجوم مضاد وإختراق القوات المصرية والوصول إلى النقط القوية التي لم تسقط بعد ومنها نقطة الفردان.

وكان قرار قائد الفرقة الثانية العميد حسن أبو سعدة يعتبر أسلوبًا جديداً لتدمير العدو وهو جذب قواته المدرعة إلى أرض قتال داخل رأس كوبري الفرقة والسماح لها باختراق الموقع الدفاعي الأمامي والتقدم حتى مسافة 3 كيلومتر من القناة ، وكان هذا القرار خطيراً - وعلى مسئوليته الشخصية.

وفي لحظة فريدة لم تحدث من قبل ولن تحدث مرة أخرى تم تحويل المنطقة إلى كتلة من النيران وكأنها قطعة من الجحيم، وكانت المفأجاة مذهلة مما ساعد على النجاح، وفي أقل من نصف ساعة أسفرت المعركة عن تدمير 73 دبابة للعدو.

وبعد المعركة صدرت الأوامر بتطوير القتال والاتجاه نحو الشرق وتدمير أي مدرعة إسرائيلية أو أفراد ومنعهم من التقدم لقناة السويس مرة أخرى حتى لو اضطر الأمر إلى منعهم بصدور عارية.

وأثناء التحرك نحو الشرق أحس النقيب يسري عمارة برعشه في يده اليسرى ووجد دماء غزيرة على ملابسه، واكتشف أنه أصيب دون أن يشعر، وتم إيقاف المركبة والتفت حوله فوجد الإسرائيلي الذي أطلق النار عليه وفي بسالة نادرة قفز نحوه النقيب يسري وجرى باتجاهه بلا أي مبالاة برغم أنه حتى لو كان الجندي الإسرائيلي أطلق طلقة عشوائية لكان قتله بلا شك.

إلا أن بسالة النقيب يسري أصابت الجندي الإسرائيلي بالذعر ووصل إليه النقيب يسري وفي لحظة كان قد أخرج خزينة البندقية الآلية وهى مملوءة بالرصاص وضربه بشدة على رأسه فسقط على الأرض وسقط النقيب يسري عمارة بجانبه من شدة الإعياء.

وعقب إفاقته واصلت الفرقة التقدم وعند طريق شرق الفردان لاحظ النقيب يسري وكانت يده اليسرى قد تورمت وأمتلأ جرحه بالرمال مجموعة من الجنود الإسرائيليين يختبئون خلف طريق الأسفلت، ووجد أحدهم وهو يستعد لإطلاق النار فتم التعامل معه وأجبروا على الاستسلام وكانوا أربعة وتم تجريدهم من السلاح وعرف أحدهم نفسه بأنه قائد، فتم تجريده من سلاحه ومعاملته باحترام وفق التعليمات المشددة

بضرورة معاملة أي أسير معاملة حسنة طالما أنه لا يقاوم وتم تسليم هذا القائد مع أول ضوء يوم 9 أكتوبر، ... وكان هذا القائد هو العقيد عساف ياجوري قائد اللواء 190 مدرع.

وقد أصدر قائد الفرقة تحية لأبطال الفرقة الثانية مشاة حيا فيها النقيب الجريح يسري عمارة ومجموعته التي أسرت قائد اللواء الإسرائيلي المدرع 190

ودائماً وابداً.... التاريخ لاينتهي.... سنحيا بالامل.... سنحيا بالعلم... سنحيا بالكفاح... سنحيا بالتسامح.... سنحيا بالابتسامة الجميلة.